بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

لا بد للمؤمن أن يكون قلبه مبيضّاً، وأن يطهِّر باطنه عما سوى الحقِّ جلَّ وعلا، ويصفِّي باطنه عما سوى الحقِّ جلَّ وعلا، من الأمور المنصبغة بصبغة الأكوان.

من لم يكن هكذا، ولم يطهِّر باطنه، ويقول: إني مُنتمٍ إلى هذا الطريق الفلاني والشيخ الفلاني، ويكتفي بهذا الاسم والمنسوب، ولا يشتغل بتطهير قلبه عما سوى الحقِّ جلَّ وعلا.....

لا بدَّ أن لا نضيِّع أوقاتنا ولا نُخدع بما تصبغ نفوسنا الأمَّارة على قلوبنا، هذا خداع، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [سورة البقرة: ١٣٨]، لأن القلب كالعين، إذا وقعت الغبرة في العين نشتغل بها حتى نزيل الغبار من عيننا، والقلب بمناسبة العين بل أقوى وأهم، لأنه محلُّ نظر الله تعالى، ولذا جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [أخرجه مسلم].

ما دمنا نحن مؤمنين ـ الحمد لله ـ، ونؤمن بالحشر الجسماني بعد الموت، ونحاسب على ما أعطانا ربُّنا من الشريعة والسنة النبوية، مع عقلنا، علينا أن لا نخرِّب آخرتنا بمتعلَّقات الدنيا وما فيها، حتى نكون محرومين من فضله جلَّ وعلا في الدنيا.

لو تقول: هذا صعب، كيف صعب؟ لا نصدِّقك، الله جلَّ وعلا وضَّح لك طريق التطهير، بكثرة الذكر، وقراءة القرآن، واتباع واحد من المأذونين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تتَّبعه وتتمسَّك بتوجيهاته، ولا تخالفه، وتسلِّم وتستسلم، وتنقاد لأوامره بدون اعتراض، إلا إذا صدر عنه شيء مخالف للشريعة، أن تتكلَّم معه بالأدب والاحترام، لحقوق الشرع الشريف، لا لأنانيَّتك وترفُّعك عليه، حتى يحصل لك التغمُّر في الطريق، ونتيجة هذا التغمُّر رضا الله جلَّ وعلا، يرضى عنك ربُّك بقطعك عن أمَّارتك الخبيثة، وابتعادك عنها.

وهنا شِقَّان: إما أن تكون مع ربك بتوجيهات شيخك، وإما أن تكون مع نفسك

بالادِّعاء والدعاوي الباطلة، حينذاك لا يحصل لك شيء إلا مجرَّد الدعوى بدون دليل.

في هذه الدنيا لا بدَّ أن لا ننسى الحشر الجسماني والحساب مع الله تعالى، وإذا نُجرُّ ونُساق إلى الحساب هل يمكن لنا أن نقول: لا نُحاسَب؟ ـ أستعيذُ بالله ـ. قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]. يعني ليس من شأن العاقل أن يخرِّب آخرته في الدنيا ويتمسَّك بحبل الأنانية والطبيعة البشرية البهيمية، ويبعد عن خالقه جل وعلا، مع الفرصة والإمكان في الدنيا، وبعدما ننتقل من الدنيا تحصل الندامة، يعني هذا ليس شأن العقلاء؛ العاقل لا بدَّ أن يُحاسب قبل أن يُحاسَب، ويهيئ جوابه قبل أن يُسأل، لم فعلتُ هذا؟ ولم ما فعلتُ هذا؟ لأن العقل المنوَّر بالوحي الإلهي يتدارك آخرته قبل أن يخرج من الدنيا.

وإن قلنا: كيف نفعل؟ نحن بشر!

فالجواب: هذا القرآن نزل على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم للتبليغ، وليبلِّغ، وما أهمل عليه أفضل الصلاة والسلام، بل بلَّغ، أنت ترى في الدنيا أن الرياء يُحبِط العمل، والعصبية خارج الدين، والاعتراض على المسلمين ـ لا بطريق النصيحة بل بالترفُّع ـ خلاف الدين، عليك أن تَدارَك قبل أن تخرج، أما إذا كان ـ مثلاً ـ لك البنات، الأولاد، لا بدَّ أن تؤدِّي حقوقهم، لا تكن كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والتبرُّج الثاني فسوق المسلمين، لا يُخلصوك عن المسؤولية، كما أن الله تعالى جلَّ جلاله يُنزل الماء من السماء ويحيي به أموات الأراضي، كذلك برحمته جلَّ وعلا ـ من القرآن الكريم واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مع الشريعة ـ يحيي القلب المغطَّى بغطاء الدنيا، ويخرق حُجُبها.

لا تظن بسوء ظنِّك أن المؤمنين كلَّهم مثلُك، علينا جميعاً أن لا نقيس أولياء الله تعالى والمؤمنين على أنفسنا، هذا قياس مع الفارق، هذه دعوى بدون دليل، لأن الله تعالى جلَّ وعلا مطَّلع على أسرار عباده، وإذا وجد بعلمه الشريف قلباً صاحبُه يطلب التطهير فهو يطهِّر ويعطي جلَّ وعلا، ولا يمنع من فضله على عباده شيئاً، لأن المؤمن ما دام فيه

إيمان، فهذا الجوهر يقبل الفيوضات الإلهية، تحس أو لم تحس.

نحن لسنا كالحيوان المشغوف بتوفير اللذات الجسمانية، والمشتهيات النفسية، لسنا هكذا، نحن إنسان بما عُلم به، وهو العقل والعلم، لا بد أن نتفكَّر في استقبالنا، كما قال ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٨-٢٩].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾ ويخاف من بطشه ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ الذين أبدعهم وأظهرهم وخلقهم من كتم العدم بإرادته وجوده، هكذا ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يعني العرفاء بالله تعالى وبأوصافه الكاملة الفائضة عليهم، وأسمائه الحسنى، المتحقِّقون بمرتبة التوحيد، إذ أخشى الناس من الله أعرفهم بشأنه، ولذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له» [رواه البخاري]، وكيف لا يخشى العارفون منه سبحانه وتعالى؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ جلَّ وعلا المتردِّي برداء العظمة والكبرياء ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على انتقام من أراد انتقامه من عباده، ﴿غَفُورٌ﴾ ذنوبَ من تاب إلى الله ورجع نحوه عن ظهر القلب خالصاً بلا رياء ولا سُمعة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة في الأوقات المحفوظة المأمورة إياهم في كتاب الله جلَّ وعلا، ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ﴾ من الله تعالى بالأفعال المذكورة ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾، يعني: لن تهلك وتفسد وتفنى أصلاً.

قال الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

لقد صدَّق عليهم إبليسُ ظنَّه الذي ظنَّ بهم، حين قال لأبيهم آدم عليه السلام ـ كما بيَّن ربُّنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم ـ:

١ـ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

٢ـ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

٣ـ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩]. إلى غير ذلك.

وبعدما أضلَّهم عن طريق الشكر والإيمان ﴿فَأَتۡبَعُوهُ﴾ كفروا النعم والمُنعِم جميعاً ـ نعوذ بالله ـ ﴿إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ـ الحمد لله، اللهم اجعلنا من المؤمنين ـ الموقنين بتوحيد الله المصدِّقين لرسله، المتذكِّرين لعداوته المستمرَّة، فانصرفوا عنه وعن إضلاله، فبقوا سالمين عن إضلاله. ولو كان هذا في حقِّ الكفار، ولكن هو عدوُّنا، كما قال الله تعالى عنه: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾.

لا بدَّ للمؤمن أن لا يغفل عن عداوته لبني آدم، وإذا وجد إبليسُ المؤمنَ أو المؤمنةَ بدون سلاح يوجِّههم إلى الإفساد.

وإذا قيل: ما السلاح باتجاه عداوته؟ إنه التمسُّك بالشريعة والسنَّة النبوية عليه الصلاة والسلام، وأن يجعل الله وكيلاً له، وإذا جعل الله وكيلاً له يعتمد بقلبه على وكالته، ولا يغفل كذلك عن استعاذته بالله من الشيطان، الله جلَّ وعلا قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

العاجز الفقير الغريب أحمد فتح الله جامي

هذا ما أملاه عليَّ سيدي العارف بالله المربِّي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به.

يوم الإثنين بعد صلاة العشاء

١٦ / ذي الحجة / ١٤٣١هـ

٢٢ /تشرين الثاني/ ٢٠١٠م

** ** **